عوامل ضبط الصحابة رضي الله عنهم للسنة النبوية

د/ عبد الرحمن بن أحمد علوش مدخلي

أستاذ الحديث المشارك – جامعة جازان– المملكة العربية السعودية

المُلخَص

يهدف البحث إلى إيراد العوامل التي اثرت في ضبط الصحابة رضي الله نقلة السنة عن النبي ﷺ كما يهدف إلى بيان أن شبهات المغرضين في هذا الباب زائفة لا قيمة لها ، ويتكون البحث من تمهيد وأربعة مباحث تحدث التمهيد عن الضبط وتأصيله من الكتاب والسنة وأفرد الحديث في المبحث الأول عن هديه ﷺ التربوي المتكامل في تبليغ السنة من حيث صفة التحديث وضرب الأمثلة وطرح الأسئلة وغير ذلك من الأساليب النبوية ، وخصص الحديث في المبحث الثاني عن هدي الصحابة ﷺ في تلقي السنة واستيعابها وتمثل في الانصات وحسن السماع ، وعدم المقاطعة ومراجعته عليه السلام فيما يحتاج لمراجعة ، وأشكل عليهم فهمه ، ومذاكرة الحديث ونحو ذلك وفي المبحث الثالث كان الحديث عن عوامل خارجية أثرت في ضبط الصحابة ومن ذلك التلازم بين العدالة والضبط ، وإجماع الأمة على تلقي حديثهم بالقبول ، وحث النبي ﷺ الصحابة على الحفظ والتبليغ وغير ذلك وفي المبحث الأخير بيان وتوضيح لمسألة بشرية الصحابة وأنه يقع منهم الوهم كغيرهم وأنه إن حصل من بعضهم فإن بقية أصحابه يستدركون عليه ويبينون ما حدث منه من وهم ثم ختم البحث بذكر ثمرات ونتائج لا يستغني عنها طالب العلم ومن أراد الحق في هذا الباب.

كلمات مفتاحية: الصحابة . الضبط . السنة النبوية . الوهم . الحديث النبوي . الرواية.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى أصحابه الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم هم نقلة السنة ومبلغوها للأمة ، وقد اصطفاهم الله تعالى لذلك واختارهم فقاموا بالمهمة خير قيام ، والأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، وعدالة الصحابة مسألة عظيمة الجدوى – كما يقول الإمام العلائي -لأن الصحابة نقلة الشريعة ولم تصل إلى الأمة إلا من جميعهم ، فمتى تطرق الطعن إلى أحد منهم حصل التشويش في أصول الشريعة ، ولم يبق بأيدينا – والعياذ بالله - متمسك بشيء منها ، وتوجهت المطاعن لأهل الزيغ والشبه في الدين ، وأدى ذلك إلى الانحلال بالكلية ، ولا محذور أصعب من هذا(١).

وكما أنهم عدول فهم ضابطون كذلك ،وقد توافرت عوامل كثيرة ساعدت على ضبطهم وإتقانهم لما سمعوه من النبي ﷺ ولأهمية الموضوع ، وحتى يلجم الأفاكون المتخرصون ويظهر الحق للباحث عنه أحببت المشاركة في هذا الموضوع ببحث جعلت عنوانه :

عوامل ضبط الصحابة رضي الله عنهم للسنة النبوية

مشكلة الدراسة وأهدافها :

تبرز مشكلة الدراسة أن هناك من يشكك في ضبط الصحابة رضي الله عنهم للسنة ،ويقول : أنا لا أشكك في عدالة الصحابة ولكن في الضبط هم بشر كغيرهم ، وفريق آخر يساوي الصحابة بغيرهم من الرواة في قضية الضبط متناسيا أو متجاهلا العوامل التي خص بها الصحابة رضي الله عنهم دون غيرهم ، وهو ما أحاول بسطه وإلقاء الضوء عليه في ثنايا هذا البحث

ويهدف البحث إلى تحقيق الآتي :

١-ذكر العوامل التي أثرت في ضبط الصحابة رضي الله عنهم دون غيرهم ، وجعلتهم يتميزون في ذلك.

٢-بيان أن شبهات المغرضين في هذا الباب زائفة لا قيمة لها .

الدراسات السابقة :

---

١) العلائي ، خليل بن كيكلدي ، تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة ، تحقيق :محمد الأشقر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤١٢ ه ١٩٩١ م :ص ٧٢

لم أقف على دراسات سابقة مستقلة في الموضوع ،لكن أود الإشارة إلى أن ثمة إشارات للموضوع من جانب التثبت ، أو عناية السلف بالسنة في مؤلفات لأساتذة أفاضل ومن تلك المؤلفات:

١-السنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب

٢-توثيق السنة النبوية وعناية السلف بها للدكتور عبد بن ضيف الله الرحيلي.

٣-الحديث والمحدثون للشيخ مُحَمَّد مُحَمَّد أبو زهو .

٤_مناهج وآداب الصحابة في التعلم والتعليم للدكتور عبد الرحمن عبد الحميد البر.

٥_دراسات في تاريخ الحديث النبوي وتاريخ تدوينه للدكتور مُحَمَّد مصطفى الأعظمي.

ويتكون البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة

المقدمة وفيها خطة البحث ومشكلة الدراسة والدراسات السابقة .

-المبحث الأول : **الهدي النبوي الشامل في التعليم والتبليغ**

- المبحث الثاني :. **هدي الصحابة رضي الله عنهم في التلقي والطلب**

- المبحث الثالث: **عوامل أخرى مؤثرة في ضبطهم رضي الله عنهم**.

-المبحث الرابع : **الوهم من الصحابي غير مؤثر في ضبطه.**

-الخاتمة

-المصادر والمراجع

-وسيكون منهجي في هذا البحث-بعون الله- وفق التالي:

-أ- ذكر الأحاديث والآثار والنصوص الواردة في ذلك ٠

-ب-تخريج الأحاديث والآثار من مظانها فإن كان في الصحيحين فقد اجتاز القنطرة،وإن كان في غيرهما بينت درجته نقلا عمن ذكر ذلك من علماء الشأن،ولم أتوسع في التخريج إذ ليس ذلك مقصود البحث.

-ج-جعل هوامش كل صفحة في آخرها.

وأخيرا هذا جهد المقل أقدمه سائلاً المولى عز وجل أن يتقبله مني، وأن يكتبه في ميزان حسناتي، وأن يغفر زلاتي وتقصيري، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد:

بيان المقصود بالضبط ، ووجوب التزامه من الكتاب والسنة

أ-تعريفه لغة:

قال المناوي: (الضبط لغة الحزم وعرفا سماع الكلام كما يحق سماعه ثم فهم معناه الذي أريد به ثم حفظه ببذل المجهود وهو الثبات عليه بمذاكرته إلى حين أدائه إلى غيره كذا ذكره ابن الكمال)(٢)

وفي المصباح :(ضبطه حفظه حفظا بليغا ومنه ضبطت البلاد وغيرها قمت بأمرها قياما لا نقص فيه)(٣).

قال الزبيدي في تاج العروس "مادة ضبط": (ضَبَطَهُ يَضْبُطه ضَبْطاً وضَبَاطَةً بالفَتْح: حَفِظَهُ بالحَزْم فهو ضَابِطٌ أَي حازِمٌ. وقالَ اللَّيْثُ: ضَبْطُ الشَّيْءِ: لُزُومُه لا يُفارِقُه يُقَالُ ذلِكَ في كلِّ شيءٍ. وضَبْطُ الشَّيْءِ: حِفْظُه بالحَزْم. وقالَ ابنُ دُرَيْدٍ: ضَبَطَ الرَّجُلُ الشَّيءَ يَضْبُطُه ضَبْطاً إذا أَخَذَه أَخْذاً شَديداً ورَجُلٌ ضَابِطٌ وضَبَنْطَى ...)(٤).

ب - اصطلاحاً:

قال الصنعاني: (الضابط عندهم من يكون حافظا متيقظا غير مغفل ولا ساه ولا شاك في حالتي التحمل والأداء)(٥).

قال الشيخ السماحي في تعريف الضبط اصطلاحاً: (أن يكون الراوي متيقظا ، غير مغفل ، حافظا إن حدث من حفظه، ضابطا لكتابه من التبديل والتغيير إن حدث منه، ويشترط فيه مع ذلك أن يكون عالماً بما يحيل المعنى إن روى به)(٦).

قال الزركشي: (أن الضبط عبارة عن موافقة الثقات فيما يروونه)(٧).

وقال طاهر الجزائري: (الضابط من الرواة هو الذي يقل خطؤه في الرواية وغير الضابط هو الذي يكثر غلطه ووهمه فيها سواء كان ذلك لضعف استعداده أو لتقصيره في اجتهاده) (٨).

وإذا تأملنا كتاب ربنا نجد أن الأمر بالضبط والتثبت قد ورد في آيات كثيرة منها:

﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾(٩)

وفي قراءة متواترة قرأ بها حمزة والكسائي وخلف ﴿فتثبتوا﴾(١٠)، قال الإمام الشوكاني رحمه الله : "المراد من التبيُّن التعرف

---

٢) المناوي ،التعاريف (١/ ٤٦٩).

٣) الفيومي ،المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٣٥٧/٢)

٤)الفيروزيادي، تاج العروس(٤٣٩/١٩).

٥) الصنعاني، توضيح الأفكار (١/ ٨).

٦) السماحي، المنهج الحديث – قسم الرواة (ص/٦٩).

٧) الزركشي، النكت على مقدمة ابن الصلاح (١/ ١٠٢).

٨) الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر (١/ ١٠٥).

٩) الحجرات : ٦ .

والتفحص، ومن التثبت الأناة وعدم العجلة ، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر"(١١)،
ومن ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً ﴾(١٢) .
ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾(١٣) .
بل شنع الله سبحانه وتعالى على المتسرعين في نقل الأخبار والأقوال دون تثبت وتبين ، ودون تروٍ ومشورة فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾(١٤).
وقد ذم النبي ﷺ طائفة المتسرعين في النقل دون تثبت بقوله : "بئس مطية الرجل زعموا"(١٥) .
قال الإمام البغوي تعليقاً على هذا الحديث : "إنما ذم اللفظة لأنها تستعمل غالباً في حديث لا سند له ، ولا تثبُّت فيه ، إنما هو يحكى على الألسن ، فأمر النبي ﷺ بالتثبت فيما يحكيه والاحتياط فيما يرويه"(١٦) .
وقال الإمام الخطابي رحمه الله : "وإنما يقال زعموا في حديث لا سند له ولا تثبت فيه ، وإنما هو شيء يحكى على الألسن وعلى سبيل البلاغ ، فذم ﷺ من الحديث ما كان هذا سبيله وأمر بالتثبت فيه والتوثق لما يحكيه من ذلك ، فلا يرويه حتى يكون معزياً إلى ثبت ومروياً عن ثقة ، وقد قيل : الراوية أحد الكاذبين"(١٧).
وقال ﷺ : "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع"(١٨) ، قال ابن حبان عند ذكر الخبر السابق : "في هذا الخبر الزجر للمرء أن يحدث بكل ما سمع حتى يعلم على اليقين صحته ثم يحدث به دون ما لا يصح"(١٩).
وثبت عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنهما قالا : "بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع"(٢٠).

ومن خلال النقولات التي سترد في ثنايا البحث سيظهر لكل منصف باحث عن الحقيقة العوامل التي أثرت في ضبط الصحابة رضي الله عنهم للسنة، وأنهم ليسوا كبقية رواة الحديث .

المبحث الأول :الهدي النبوي الشامل في التعليم والتبليغ

لقد توافرت عوامل كثيرة ساعدت على حفظ السنة وضبطها ونقلها وكتابتها صحيحة سليمة من الخلط أو الخطأ، ومن هذه العوامل هدي النبي ﷺ في تبليغ السنة وتعليمها ، فلقد نهج ﷺ - نهجا يؤدي إلى حفظ السنة حفظا سليما، دون اختلاط كلمة بكلمة، ودون عجلة تؤدي إلى عدم السماع أو عدم الإدراك، يتضح هذا مما يأتي:
- كان النبي ﷺ لا يحدث أصحابه إلا إذا كانوا في حالة يكون سماعهم لحديثه سماعا تاما، يدلنا على هذا ما أخرجه البخاري عن جرير بن عبد الله، أن النبي - ﷺ - قال له في حجة الوداع: (استنصت الناس...) الحديث(٢١).
وفي هذا دليل على أنه ﷺ لا يحدثهم إلا إذا كانوا في حالة إنصات وإصغاء، وما كان الصحابة رضي الله عنهم بأهل ضوضاء وفوضى، وإنما حدث ذلك من أجل كثرة الزحام، ولعدم علمهم أنه صلى الله عليه وسلم سيحدثهم، فلما أراد ﷺ أن يحدثهم أمر جريرا أن يطلب منهم الإنصات، ودليلنا على أن الصحابة لم يكونوا أهل ضوضاء وفوضى، وإنما كانوا أهل سكينة وهدوء ما رواه أسامة بن شريك قال: (أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رءوسهم الطير)(٢٢).
كان النبي ﷺ يتخول أصحابه بالحديث والمواعظ ولا يكثر عليهم خشية الملل والسآمة، يدل على هذا ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: (كان النبي - ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا)(٢٣).
كان النبي ﷺ إذا تحدث لا يدخل الكلام بعضه في بعض، ولا يسرده سردا، وهذا أدعى لسلامة المسموع، وحفظ السامع، وفهم الحديث، يدل على هذا ما أخرجه أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان كلام رسول الله كلاما فصلا، يفهمه كل من

---

١٠) ابن أبي مريم ،الموضح في وجوه القراءات ، (٣ /١١٩٥) ، الجزري النشر في القراءات العشر ، (٢ /٢٥١) .
١١) الشوكاني ،فتح القدير ، (٥ /٦٠)
١٢) النساء : ٩٤ .
١٣) الإسراء : ٣٦ .
١٤) النساء : ٨٣ .
١٥) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب باب في قول الرجل زعموا ، رقم ٤٩٧٢) وأحمد (٤ /١١٩) والبغوي (١٢ /٣٦١) وأورده الألباني في الصحيحة برقم ٨٦٦
١٦) البغوي ،شرح السنة (١٢ /٣٦١).
١٧) الخطابي ،معالم السنة (٤ /١٣٠).
١٨) أخرجه مسلم (المقدمة باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ، ١٠/١ ، رقم٥) وأبو داود (كتاب الأدب ، رقم ٤٩٩٣)من حديث أبي هريرة .
١٩) ابن حبان ،المجروحين ، (١ /٦).
٢٠) أخرجه مسلم المقدمة ، (١ /١١).

٢١)صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: العلم، باب: الإنصات للعلماء، (١/ ٢٦٢)، رقم (١٢١).
٢٢)أخرجه أبو داود في سننه (بشرح عون المعبود)، كتاب: الطب، باب: في الرجل يتداوى، (١٠/ ٢٣٩)، رقم (٣٨٤٩). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٣٨٥٥).
٢٣)صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: العلم، باب: ما كان النبي . صلى الله عليه وسلم . يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، (١/ ١٩٥)، رقم (٦٨).

سمعه»،(٢٤) وفي رواية مسلم: «إنما كان النبي ﷺ يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه».(٢٥)

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله ((وذلك عندهم كان ليفهم عنه كل من جالسه من قريب أو بعيد، وهكذا يجب أن يكرر المحدث الحديث حتى يفهم عنه ،وأما اذا فهم عنه فلا وجه للتكرار)) (٢٦)

وربما دعت الحاجة الى تحفيظهم بعض النصوص المهمة فيكررها حتى يطمئن إلى حفظهم إياها ،كنصوص بعض الأدعية، والتشهد، وصلاة الاستخارة، ونحو ذلك ،ففي صحيح البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ يَقُولُ إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ...)الحديث(٢٧)

كان ﷺ إذا تكلم حرص على أن يفهم كلامه، فإذا كانت الكلمة تحتاج إلى إعادة أعادها، وقد يقولها ثلاثا؛ وذلك حتى يطمئن إلى أنها قد عقلت عنه، يدلنا على هذا ما أخرجه البخاري عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ – (أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه).(٢٨)

ضرب الامثال ،فللمثل الأثر البالغ في إيصال المعنى إلى العقل والقلب ، والنبي ﷺ أكثر جدا من ضرب الأمثال ،والأحاديث التي فيها ضرب الأمثال من النبي ﷺ كثيرة جدا ألفت فيه كتب ومثل ذلك ما رواه البخاري من حديث أبي موسى أن النبي قال (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث...)(٢٩)

طرح المسائل فمن المعلوم أن توجيه السؤال يفتح ذهن المسئول ويركز على اهتمامه في الإجابة ،ويحدث حالة من النشاط الذهني الكامل ،ويحدث لوناً من التواصل القوى بين السائل والمسئول ،وقد استخدم النبي ﷺ لسؤال في صور متعددة لتعليم الصحابة رضي الله عنهم مما كان له أكبر الأثر في حسن فهمهم وتمام حفظهم:

أ- فأحيانا يوجه النبي ﷺ السؤال لمجرد الإثارة والتشويق، ولفت الانتباه ،من ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى المكارة وَكَثْرَةُ الخطأ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ)(٣٠).

ب-وأحيانا يسألهم النبي ﷺ عن شيء معلوم لديهم فيجيبون بما يعلمون فيلفت النبي ﷺ أنظارهم إلى معنى غريب لم ينتبهوا إليه، من ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)(٣١)

ج-وأحيانا يسأل فيحسن أحد الصحابة الإجابة فيثنى عليه ،ويمدحه تشجيعا له وتحفيزا لغيره، كما فعل مع أبي بن كعب حين استحسن إجابته وذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ قَالَ قُلْتُ:{ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } قَالَ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ)(٣٢)

إلقاء المعاني الغريبة المثيرة للاهتمام والداعية الى الاستفسار والسؤال ،وهذا لون رائع من ألوان التعليم يثير في النفس الرغبة القوية في السؤال ويدفعها بقوة إلى التطلع للمعرفة واستشراف الجواب ومن ثم استيعابه وحفظه لما فيه من طرافة وغرابة ، من ذلك الحديث المتفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِن مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ) (٣٣).

ومن ذلك وهو مثال لطيف ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ ؟فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ قَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَقَالَ:

---

٢٤)أخرجه أبو داود في سننه (بشرح عون المعبود)، كتاب: الأدب، باب: الهدي في الكلام، (١٣/ ١٢٦)، رقم (٤٨٢٩). وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٤٨٣٩)

٢٥) أخرجه مسلم (كتاب الزهد، باب: التثبت في الحديث، (٩/ ٤٠٨٩)، رقم (٧٣٧٤).

٢٦) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (٥٥٧/١)

٢٧) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة باب اجاء في التطوع مثنى مثنى ٥٧/٢رقم الحديث١١٠٩)

٢٨)صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: العلم، باب: من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه، (١/ ٢٢٧)، رقم (٩٥).

٢٩) أخرجه البخاري (كتاب العلم باب فضل من علم وعلم ٢٧/١ رقم ٧٩) ومسلم (كتاب الفضائل ،باب بيان مثل ما بعث الله به من العلم ١٧٨٧/٤رقم٢٢٨٢).

٣٠) أخرجه مسلم كتاب الطهارة باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره٢١٩/١ رقم ٢٥١)

٣١) أخرجه مسلم المقدمة ، (١ /١١).

٣٢) أخرجه مسلم كتاب التفسير ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ٥٥٦/١رقم٨١٠)

٣٣) أخرجه البخاري كتاب الأدب ٣/٨ رقم٥٩٧٣)ومسلم(في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها٢٢٢٨/٥ رقم ٥٦٢٨)

فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ)(٣٤).
استخدام الوسائل التوضيحية فقد كان النبي ﷺ يستخدم الوسائل التوضيحية لتقرير وتأكيد المعنى في نفوس وعقول السامعين وشغل كل حواسهم بالموضوع ،وتركيز انتباههم فيه، مما يساعد على تمام وعيه وحسن حفظه بكل ملابساته وهذه الوسائل كثيرة منها :
أ-التعبير بحركة اليد،كتشبيكه بين أصابعه الشريفة ،وذلك للتعبير عن الأخوة بين المؤمنين وكأنهم مثل الأصابع التي شبكت مع بعضها البعض في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ) (٣٥).
ب_التعبير بالرسم فكان النبي ﷺ يخط خطوطا على الأرض توضيحية تلفت نظر الصحابة ثم يأخذ في شرح مفردات ذلك التخطيط وبيان المقصود منه فمن ذلك ما أخرجه البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ وَقَالَ :هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ ،وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ ،فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا)(٣٦).
ج-التعبير برفع الشئ وإظهاره موضع الحديث كما فعل ﷺ عند الحديث عن لبس الحرير والذهب فعن عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي)(٣٧)
د-التعليم العملي بفعل الشيء أمام الناس حتى يتعلموا من مشاهدتهم له في فعله ﷺ، كما فعل عند تعليمهم طريقة الصلاة ،وذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم وفيه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : (ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَيْهَا وَكَبَّرَ وَهُوَ عَلَيْهَا ثُمَّ رَكَعَ وَهُوَ عَلَيْهَا ثُمَّ نَزَلَ الْقَهْقَرَى فَسَجَدَ فِي أَصْلِ الْمِنْبَرِ ثُمَّ عَادَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا وَلِتَعَلَّمُوا صلاتي)(٣٨)

استعمال لطيف الخطاب ،ورقيق العبارات ،فان ذلك مما يؤلف القلوب ويستميلها إلى الحق ويدفع المستمعين إلى الوعي والحفظ ،كما فعل مع ربيبه عمر بن أبي سلمة حين أخذ في تعليمه لآداب الأكل فعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ادْنُ بُنَيَّ فَسَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ) (٣٩)
كما كان النبي ﷺ يمهد لكلامه وتوجيهه بعبارة لطيفة رقيقة وبخاصة إذا كان يعلمهم أمرا قد يستحيا من ذكره كما فعل مع الصحابة عند تعليمهم آداب الجلوس لقضاء الحاجة ،إذ قدم لذلك بأنه مثل الوالدين للمؤمنين يعلمهم شفقة بهم ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب بيمينه)(٤٠)
- التحذير من الكذب عليه ﷺ ،وبيان العقوبة الشديدة في ذلك ،مما دعا الصحابة الكرام إلى الدقة في سماع الأخبار عن سيد الأخيار، خشية الوقوع في الوعيد الوارد في الأحاديث ومن ذلك: عن رِبْعِيَّ بْنَ حِرَاشٍ قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجْ النَّارَ)(٤١)
و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ) (٤٢)
بل هناك من الصحابة من أمسك عن الحديث خشية الوقوع في هذا الوعيد ألا وهو الصحابي الجليل الزبير بن العوام فقد أخرج البخاري عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ: إِنِّي لَا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يُحَدِّثُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ قَالَ: (أَمَا إِنِّي لَمْ أُفَارِقْهُ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ)(٤٣)
- أمر النبي ﷺ أصحابه بالحفظ ،والفهم ،والتبليغ ،ولن يستطيعوا أن يبلغوا إلا إذا حفظوا ،والأحاديث التي أمر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالحفظ والتبليغ كثيرة منها:

---

٣٤) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق ٤/ ٢٢٧٢رقم٢٩٥٧)
٣٥) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد١/١٠٣رقم٤٨١)
٣٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق باب في الأمل وطوله ٨/ ٨٩رقم ٦٤١٧)
٣٧) أخرجه أبو داوود كتاب اللباس باب في الحرير للنساء٤/ ٥٠ رقم٤٠٥٧)والنسائي (كتاب اللباس ٨/١٦٠رقم ٥١٤٤)وابن حبان في صحيحه (١٢/٢٤٩رقم٥٤٣٤) وقال الألباني : صحيح.
٣٨) أخرجه البخاري (كتاب الجمعة باب الخطبة على المنبر ٢/ ٩ رقم ٩١٧)ومسلم (كتاب الصلاة باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة ١/ ٣٨٦ رقم ٥٤٤)
٣٩) رواه أبو داود (كتاب الأطعمة باب الأكل باليمين ٣/٣٤٩رقم٣٧٧٧)والترمذي(أبواب الأطعمة باب ما جاء في التسمية على الطعام ٤/٢٨٨رقم١٨٥٧) وقال الألباني : صحيح.
٤٠)أخرجه ابن ماجة (كتاب الطهارة باب الاستنجاء بالحجارة ١/١١٤ رقم ٣١٣) وقال الألباني حسن صحيح
٤١) أخرجه البخاري (كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١/٣٣رقم ١٠٦)
٤٢) أخرجه البخاري (كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١/٣٣رقم ١١٠)ومسلم (المقدمة باب التحذير من الكذب على النبي ﷺ ١/ ١٠ رقم ٣
٤٣) أخرجه البخاري (كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١/٣٣رقم ١٠٧)

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ)(٤٤)

وعند البخاري من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ)(٤٥)

كانت وفود القبائل والمدن ترد على رسول الله ﷺ في المدينة لتلقي القرآن وتلقي العلم، وكان النبي ﷺ يأمرهم عند عودتهم أن يعلموا أقوامهم إذا رجعوا إليهم، فعندما ودع النبي ﷺ وفد عبد القيس بعدما علمهم قال لهم: «... احفظوه، وأخبروه من وراءكم»(٤٦)

ما أوتيه النبي ﷺ من البلاغة وجوامع الكلم:

لقد اصطفى الله - عز وجل - رسوله ﷺ، وجعله أفصح العرب، وأكمل الخلق بلاغة وأدبا، كما اختصه بجوامع الكلم؛ فهو يعبر عن المعاني الكثيرة باللفظ القليل، وأي تعبير يساوي قوله ﷺ: (الدين النصيحة) (٤٧) ، حتى قال الخطابي: "ليس في الكلام كلمة مفردة تستوفي بها العبارة عن معنى هذه الكلمة".(٤٨)

ولهذين الأمرين - البلاغة وجوامع الكلم - دور كبير في حفظ السنة؛ أما البلاغة، فجعلت أحاديث النبي - ﷺ - محببة إلى نفوس العرب؛ إذ هم أصحاب الفصاحة، الذين يعقدون أسواق الأدب يتبارون في البيان، وأما جوامع الكلم، فكان سبيل التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة وتعبيرات وجيزة، وهذا أيسر في الحفظ وأسهل للاستيعاب.

المبحث الثاني :هدي الصحابة رضي الله عنهم في التلقي والطلب

مثلما حرص النبي ﷺ على استخدام الوسائل التربوية السامية التي سبق ذكرها حرص الصحابة رضوان الله عليهم على التزام آداب ومبادئ مهمة كان لها عظيم الأثر في حسن الحفظ وتمام الضبط وجودة التحمل والأخذ، ومن تلك الآداب :

١-الإنصات التام وحسن السماع ،حتى لا يفوتهم شيء من حديثه ﷺ ولذلك كانوا يوقرون مجلسه ﷺ وينصتون بين يديه فعن أسامة بن شريك رضى الله عنه قال:(أتيت النبي ﷺ وإذا أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير ما يتكلم منا متكلم)(٤٩)

وعن رافع بن عمرو المزني قال: (رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعلي رضي الله عنه يعبر عنه والناس بين قاعد وقائم)(٥٠).

٢- ترك التنازع وعدم مقاطعة المتحدث حتى يفرغ من حديثه وهذا من تمام الأدب المفضي إلى ارتياح جميع الجالسين وقد شهد بذلك عروة بن مسعود الثقفي وقد كان كافرا حينما أتى يوم الحديبية لمفاوضة الرسول ﷺ سفيرا لقريش فلما رجع إلى أصحابه هاله ما رآه عند رسول الله ﷺ فقال لهم: ..وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا ..) (٥١)

٣-أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم فيما أشكل عليهم حتى يتبين لهم ،فمع كمال هيبتهم لرسول الله ﷺ وشدة تعظيمهم له لم يكونوا يترددون في مراجعته ﷺ لاستيضاح ما أشكل عليهم فهمه، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى{ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا } قَالَتْ: فَقَالَ: (إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ)(٥٢)) قال الحافظ في الفتح :(وَفِي الْحَدِيث مَا كَانَ عِنْد عَائِشَة مِنْ الْحِرْص عَلَى تَفَهُّم مَعَانِي الْحَدِيث ، وَأَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَتَضَجَّر مِنْ الْمُرَاجَعَة فِي الْعِلْم . وَفِيهِ جَوَاز الْمُنَاظَرَة ، وَمُقَابَلَة السُّنَّة بِالْكِتَابِ ، وَتَفَاوُت النَّاس فِي الْحِسَاب . وَفِيهِ أَنَّ السُّؤَال عَنْ مِثْل هَذَا لَمْ يَدْخُل فِيمَا نُهِيَ الصَّحَابَة عَنْهُ فِي قَوْله تَعَالَى : (لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاء) (٥٣))

٤-عرض الحديث على النبي ﷺ وترديده بين يديه للتأكد من حفظه وضبطه ،ولا أدل على ذلك من الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ :قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ

---

٤٤) أخرجه أبو داود (كتاب العلم باب فضل نشر العلم ٣/٣٢٢رقم ٣٦٦٠) وابن ماجة (كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب من بلغ علما ١/ ٨٤رقم ٢٣٠) وقال الألباني : صحيح.

٤٥) أخرجه البخاري (كتاب الأنبياء باب ماجاء في الحديث عن بني إسرائيل ٤/ ١٧٠ رقم ٣٤٦١)والترمذي (كتاب العلم باب ماجاء في الحديث عن بني إسرائيل ٥/ ٤٠رقم ٢٦٦٩)

٤٦) أخرجه البخاري (كتاب العلم باب تَحْرِيضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الإِيمَانَ وَالعِلْمَ، وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ١/٢٩رقم ٨٧)ومسلم (كتاب الإيمان بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ١/٤٧ رقم ١٧)

٤٧) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة ١/٧٤ رقم ٤٨).ابن حجر فتح الباري (١/١٣٨)

٤٩) سبق تخريجه برقم (٢٣)

٥٠) أخرجه داود (كتاب المناسك ٢/١٩٨رقم ١٩٥٦)وقال الألباني : صحيح.

٥١) أخرجه البخاري (كتاب الشروط ،بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ٣/ ١٩٣ رقم ٢٧٣١)

٥٢) أخرجه البخاري (كتاب العلم بَابُ مَنْ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَفْهَمْهُ فَرَاجَعَ فِيهِ حَتَّى يَعْرِفَهُ ١/٣٢رقم ١٠٣)

٥٣) ابن حجر ، فتح الباري (١/١٩٧)

لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ قَالَ فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا بَلَغْتُ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ قُلْتُ وَرَسُولِكَ قَالَ :لَا وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) (٥٤)

٥- مذاكرة الحديث فقد كان الصحابة ومن بعدهم من التابعين يتدارسون الحديث ويتذاكرونه فيما بينهم ويراجعونه تأكيدا لحفظه وتقوية لاستيعابه وحفظه، والأدلة على ذلك كثيرة جدا وأشهرها حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه مع صاحبه وشريكه الذين كانوا يتناوبون سماع الحديث من النبي ﷺ فعَنْ عُمَرَ قَالَ :كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَنَزَلَ صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا فَقَالَ: أَثَمَّ هُوَ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ....الحديث(٥٥) ومذاكرة الحديث أمر معروف ومشهور تكلمت عليه كتب المصطلح وكانوا يمدحون بعضهم بالمذاكرة ويرغبون فيها ويحرصون عليها،كما ورد ذلك عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ، قال : (تذاكروا الحديث ، فإن مذاكرة الحديث تهيج الحديث)(٥٦) .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (تزاوروا وأكثروا مذاكرة الحديث فإن لم تفعلوا يندرس الحديث)(٥٧).

٦-ملازمة الصحابة رضوان الله عليهم وأرضاهم للرسول صلى الله عليه وسلم وأوضح مثال على ذلك أكثر من وجهت إليه سهام الطعن من أعداء السنة ألا وهو أبو هريرة رضي الله عنه كيف كانت ملازمته لرسول الله ﷺ فقد أخرج البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: (إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمْ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمْ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ فَشَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَالَ: مَنْ يَبْسُطْ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي ثُمَّ يَقْبِضْهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي فَبَسَطْتُ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيَّ فوالذي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ)(٥٨).

٧- قوة ذاكرة الصحابة واستعدادهم الفطري، فالمتتبع لحياة العرب في الجاهلية وصدر الإسلام يتضح له أن العرب كانوا أصحاب ذاكرة قوية، يذهبون إلى أسواق الأدب، فيلقي الشاعر قصيدته مرة واحدة فتحفظ، بل وتنقد ،ويتضح هذا الأمر لمن درس أحوال العرب الفكرية، فكانوا يعتمدون على صدورهم في حفظ أنسابهم ومفاخرهم وأشعارهم وكل ما لهم، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يحفظ في سمعة واحدة قصيدة عمر بن أبي ربيعة التي مطلعها:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر

غداة غد أم رائح فمهجر(٥٩)

ولقد انتفع الصحابة رضي الله عنهم ،ومن بعدهم بهذه الملكة في خدمة الكتاب والسنة، فكانت عاملا من عوامل الحفاظ على السنة، إذ سجلوها في صدورهم وتناقلوها فيما بينهم،ولا ريب أن حفظ السنة أيسر وأسهل من حفظ الأنساب التي برع فيها العرب براعة فائقة لا مثيل لها.

المبحث الثالث: عوامل أخرى مؤثرة في ضبطهم رضي الله عنهم

إضافة لما سبق هناك عوامل أخرى أثرت في ضبط الصحابة للسنة ومنها:

١- علم الصحابة رضي الله عنهم بمكانة السنة :لقد أدرك الصحابة – رضي الله عنهم– أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جزء من الدين الذي يدينون به، يجب اتباعه وتحرم مخالفته، لاسيما وقد أوجب القرآن الكريم طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها بجوار طاعة الله تعالى، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (٦٠)

وجعل طاعته طاعة لله فقال سبحانه:(مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) (٦١)

وأمرهم بالانقياد له فيما يأمر به وينهى عنه، فقال: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (٦٢) :وحذر من مخالفة أمره، فقال: (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٦٣)ولم يجعل للمؤمن ولا للمؤمنة خياراً في قبول حكمه، فقال: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ

---

٥٤) أخرجه البخاري (كتاب الوضوء بَابُ فَضْلِ مَنْ بَاتَ عَلَى الْوُضُوءِ ١/٥٨رقم ٢٤٧).

٥٥) أخرجه البخاري (كتاب العلم بَابُ التَّنَاوُبِ فِي العِلْمِ١/٢٨رقم٨٩)

٥٦)أخرجه الحاكم فى المستدرك (كتاب العلم، باب فضيلة مذاكرة الحديث ١/١٧٣ رقم ٣٢٣)

٥٧) أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث (١/٦٠,١٤١)

٥٨) أخرجه البخاري (كتاب البيوع ٣/٥٢رقم ٢٠٤٧)٠

٥٩) خزانة الأدب (٥/٣١٦)

٦٠) سورة النساء آية ٥٩

٦١) سورة النساء آية ٨٠

٦٢) سورة الحشر آية ٧

٦٣) سورة النور آية ٦٣

الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) (٦٤)

إلى غير ذلك من الآيات الصريحة الواضحة في هذا الشأن ،هذا بالإضافة إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد حذر أصحابه من ترك سنته، وذلك حين قال لهم :فمن رغب عن سنتي فليس مني) (٦٥)

وحين قال لهم يوم أن حرم عليهم أشياء يوم خيبر :(يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثي، فيقول :بيني وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه،وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما حرم الله) (٦٦)

كل هذه النصوص وغيرها جعلت الصحابة يدركون مكانة السنة النبوية، ويستشعرون خطورة الإعراض عنها أو التفريط فيها أو تضييع شيء منها.

٢-ترغيب الكتاب والسنة في تحمل العلم وتبليغه

لم يكن حفظ السنة ونشرها أمراً موكولاً إلى اختيار الصحابة – رضي الله عنهم – بل كان تكليفاً دينياً لازماً لهم، كي يترسموا خطاها في حياتهم أولاً، ثم يقوموا بتبليغها للأجيال اللاحقة ثانياً، ذلك أن التعليم إلزام للمتعلم، وتحميله مسئولية التبليغ، قال تعالى:

(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (٦٧)وقد حضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على تلقي الحديث وتبليغه، فقال :

(تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم) (٦٨)

وإذا كان الحديث قد ورد بصيغة الخبر فمعناه الإنشاء أي لتسمعوا مني الحديث، ولتبلغوه عني، وليسمعه منكم من بعدي، وهكذا أداءً للأمانة.

.وقال صلى الله عليه وسلم :(بلّغوا عني ولو آية) (٦٩)

.وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً :إ(لني أحدثكم بالحديث، فليحدث الحاضر منكم الغائب) (٧٠)

وإذا كانت هذه النصوص توضح إلى أي مدى استحوذت قضية التلقي والتبليغ على اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم، فهناك نصوص أخرى ترمي إلى ذات الهدف.

منها :ما يتعلق بالترغيب في ذلك عن طريق الدعاء لهم، ووعدهم بعظيم الأجر وجزيل المثوبة، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها كما سمعها، فرب حامل فقه غير فقيه، و رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) (٧١)

.وقوله صلى الله عليه وسلم : (من دلَّ على خيرٍ فله مثل فاعله) (٧٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)(٧٣)

ومنها :ما يتعلق بالترهيب من كتمان العلم، والتقصير في تبليغه، ذلك أن العلم الديني ليس لحامله فقط، بل هو لكل من يمكن أن يصل إليه، وكتمانه شر وظلم قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجامٍ من نار) (٧٤)

---

٦٤) سورة الأحزاب آية ٣٦

٦٥)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح رقم)٥٠٦٣ (، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح باب استحباب لمن تاقت نفسه إليه، رقم٣٤٠٣

٦٦)أخرجه الترمذي (كتاب العلم باب ما نهى عنه أن يقال عند حدي النبي ﷺ رقم "٢٦٦٤"وقال : حديث حسن ،وأخرجه الحاكم في المستدرك(١/١-٩-١١٠)وقال:إسناده صحيح

٦٧) سورة التوبة آية ١٢٢

٦٨) الحديث أخرجه أبو داود بإسناد صحيح، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، رقم ٣٦٥٩والحاكم في المستدرك ٩٥/١وقال :هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وليس له علة ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان، انظر :الإحسان٢٦٣/١ قم٦٢والرامهرمزي في المحدث الفاصل :٢٠٧رقم٩٢

٦٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٤٦١والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل رقم : ٢٦٦٩، قال أبوعيسى :هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما رقم :٦٨٤٩

٧٠) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل :١٧١ رقم ١٤، وعزاه الهيثمي في المجمع١٣٩/١إلى الطبراني في الكبير، ورجاله موثوقون وذكره السيوطي في الجامع الصغير رقم) ٢٩١٨١وقال :رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت.

٧١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، فضل نشر العلم، رقم :٣٦٦٠ ، والترمذي في سننه،كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم) : ٢٦٥٦ وقال :حسن صحيح ، وابن ماجه في سننه ، المقدمة ، باب من بلغ علماً ، رقم ٢٣٥،٢٣٤،٢٣٣

٧٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره،رقم ١٨٩٣، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الدال على الخير كفاعله، رقم٢٦٧١ وقال :حسن صحيح.

٧٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة رقم ٦٨٠٤والترمذي في سننه، باب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة رقم ٢٦٧٤وقال أبو عيسى :هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب لزوم السنة رقم ٤٦٠٩ والدارمي في سننه، المقدمة، باب من سن سنة حسنة أو سيئة رقم ٥١٣

٧٤) أخرجه ابن حبان ، كما في الإحسان ١٠٢/١١، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٩٨/٢ وقال :إسناده صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وعزاه الهيثمي في المجمع١٦٣/١ **للطبراني في الكبير والأوسط، وقال :رجاله موثقون.**

من أجل كل هذا أصبح واجباً على الصحابة – رضوان الله عليهم – تلقي الحديث وحفظه، ثم القيام بتبليغه إلى من بعدهم، كي يخرجوا من مسئولية التبليغ الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣-من المعلوم أنه كلما ازدادت العدالة ازداد الضبط وخاصة الطبقة العليا من الصحابة الكرام، لاسيما وأن من عدلهم ليس ابن معين، أو شعبة، أو سفيان، بل إن من عدلهم هو الله تبارك وتعالى من فوق سبع سموات ورسوله ﷺ مبلغا عن رب العزة هذا التعديل.

٤ -ثناء بعض الصحابة على بعض فهذا ابن عمر رضي الله عنه يقول :(كان أبو هريرة ألزمنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا)(٧٥) والأدلة على تعديل بعضهم بعضا، وثناء بعضهم على بعض في الحفظ والضبط كثيرة.

٥-حرصهم على عدم الزيادة أو النقصان فكان أحدهم ربما توقف في الحديث أن يحدث به بالكلية خشية أن يزيد أو ينقص كما مر في خبر الزبير رضي الله عنه.

٦- إجماع الأمة على تلقى حديثهم من غير كلام في ضبطهم أو عدالتهم، ولاشك أن إجماع الأمة معصوم وهو أحد الأدلة في الإسلام ،وإذا كان التعديل والتجريح يكون بأمرين: الأول: كلام العلماء، والثاني: الشهرة والاستفاضة، فإن الصحابة الكرام جمعوا الأمرين، بل إن من دونهم بكثير قبلنا حديثهم مثل الشافعي، ومالك ،و السفيانين، وشعبة، وغيرهم من الأئمة المشهورين أفنرد من هم خير منهم وأجل ؟

٧-وصف النبي ﷺ بعضهم بالحفظ والضبط ،والحرص على الحديث فقد قال لأبي هريرة :(لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ)(٧٦) وكما سبق أن أكثر من وجهت إليه سهام الطعن أبو هريرة رضي الله عنه الذي زكاه وعدله النبي ﷺ وذكر له تلك المنقبة العظيمة وأنه حريص على السنة.

٨- قول النبي ﷺ في حجة الوداع :(ليبلغ الشاهد منكم الغائب)(٧٧)هذا أمر لأكثر من مائة ألف صحابي بالتبليغ، وأمره العام هذا لكل من حضر حجة الوداع يدل على أنهم كلهم أهل التبليغ فكان من الممكن أن يقول: لايبلغ إلا فلان وفلان لأنهم أهل للتبليغ، وربما لم يحضر الأعرابى إلا مرة واحدة ولكن علم النبي صلى الله عليه وسلم أنه أهل للتبليغ .

يقول ابن حبان: (وفي قوله صلى الله عليه وسلم) :ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب أعظم الدليل على أن الصحابة كلهم عدول، ليس فيهم مجروح ولا ضعيف، إذ لو كان فيهم مجروح أو ضعيف أو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى في قوله صلى الله عليه وسلم، وقال :ألا ليبلغ فلان وفلانمنكم الغائب، فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم، دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدله رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفاً) (٧٨)

٩-صاحب القصة أولى بحفظها فهم الذين شاهدو أحوال وأخبار النبي ﷺ ،كمن حضر غزوة بدر مثلا وقص علينا ماحدث فيها فالذين شاهدو التنزيل يكون ضبطهم أوثق وأقوى ممن لم يشهد.

١٠-انعدام الإسناد فليس بينهم وبين الرسول ﷺ أحد إنما سمعوا من الرسول مباشرة في الأعم الأغلب،بالإضافة إلى أنهم انزاحت عنهم علوم الحديث من الشاذ والمنكر والمعل والكلام في الجرح والتعديل وكل هذه الأشياء فكان الحديث عندهم سجية والله اعلم

المبحث الرابع : الوهم من الصحابي غير مؤثر في ضبطه

الصحابةُ رضي الله عنهم بشَر يجوزُ عليْهِمُ الوهْمُ والخطأ والنسيان ، كما يجوزُ على غيْرِهم ، قال ابن تيمية : " وأما الغلط فلا يسلم منه أكثر الناس ، بل في الصحابة من قد يغلط أحياناً " (٧٩).. ولا يؤثِّر على ضبْطِهم لقُرْب العهد بالنبي ﷺ ، وطرق تلقي العلم عنه ، بالسماع المباشر ، أو بالرؤية ، مع تكرار ورود العلم عليه ، وهذا يُضعف احتمال الوهم ، بخلاف من بعدهم بعدما كثرت الوسائط وتعددت ،كما أن توهُّمَ الصحابي يُبينُهُ صحابيٌ آخر باسْتِدْراكِهِ عليْهِ ، ويُبين فيه الصحابيُّ أن الصحابي الآخر أخطأ أو توهّم. ولا يُمكِنُ الحُكْم على صحابيٍ أو راوٍ بالخطأ أو الوهْمِ في روايةٍ ما ، إلا بدليلٍ أو بيّنة تُبيّنُ اسْتِدْراكِ صحابيٍّ على صحابيٍّ آخر ، وليْس الأمر متروكًا للهوى والظن ، كأن يروي الصحابيُ الخبرَ، فيروي صحابيٌ آخر بخلافِهِ ويُبين ما وهِمَ فيه الصحابي ، وهذا حادِثُ بيْن الصحابةِ رضوانُ اللهِ عليْهِم لاحتياطِهِم في التثبُت والتأكيد على صحةِ ما يُنْقَل عن رسول الله صلى اللهُ عليْهِ وسلّم ، ونكتفي هنا بِمِثالَيْن:

الأول : توهيم عائشة لابن عمر في تواريخ عمرات النبي صلى الله عليه وسلم .. فعن مجاهد ، قال : دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد ، فإذا عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما جالس إلى حجرة عائشة ، وإذا ناس يصلون في المسجد صلاة الضحى ، قال : فسألناه عن صلاتهم ؟ فقال : بدعة ، ثم قال له : كم اعتمر رسول الله ﷺ ؟ قال : أربعاً ، إحداهن في رجب ، فكرهنا أن نرد عليه ، قال وسمعنا استنان عائشة أم المؤمنين في الحجرة ، فقال عروة : يا أماه ، يا أم المؤمنين ، ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن ؟ قالت : ما يقول ؟ قال : يقول : إن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمرات ، إحداهم في رجب ، قالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر

---

٧٥) أخرجه الترمذي (كتاب المناقب باب مناقب أبي هريرة ٦٨٤/٥رقم ٣٨٣٦)

٧٦) أخرجه البخاري (كتاب العلم باب الحرص على الحديث ٣١/١رقم ٩٩)

٧٧) أخرجه البخاري (كتاب العلم بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ٢٤/١ رقم ٦٧)ومسلم (كتاب القسامة بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ ١٣٠٥/٣ رقم ١٦٧٩)

٧٨)ابن بلبان ، علاء الدين الفارسي،الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ، تحقيق كمال الحوت١٦١/١-١٦٢دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧هـ

٧٩) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى(٢٥٠/١) وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٧٥)

عمرة إلا وهو شاهده ، وما اعتمرفي رجب قط"(٨٠).
الثاني : توهيم سعيد بن المسيب لابن عباس في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من ميمونة وهو محرم . فعن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، أن النبي تزوج ميمونة وهو محرم . قال سعيد بن المسيب : وهم ابن عباس ، وإن كانت خالته ، إنما تزوجها حلالاً"(٨١).

واتهام الصحابةِ بقلةِ الضبْط ، بحجةِ تحرُج الصحابي من أن يسْتدرِك على الآخر ، أو بالتعميم أو غيرِ ذلِك، غيرُ صحيح ولا برهان عليْهِ ، ولا يجوز لنا ذلك ، فإنا نفعل كما فعل رسول اللهِ ونقطعُ بما فعل فالصحابة - رضي الله عنهم - لشدة خوفهم من الله تعالى وحرصهم على دينهم وتعظيمهم لسنة نبيهم ﷺ لم يكونوا ليحدثوا غيرهم من المسلمين بشيء من أمور الدين إلا بما علموا أنهم حفظوه وأتقنوه من الأحاديث، وكان رسول الله ﷺ يقبل خبرهم ، وإن كان الأصْلُ هو قبول خبرِهم كما قبلهُ رسول الله صلّى اللهُ عليْهِ وسلم منهم ، والصحابةُ كانوا يقبلون أخبار بعضهم بعْضًا ، ومع ذلِكَ إذا قامت عند السامع قرينة على احتمال أن ذلك المخبر واهم في خبره ، فإنهُ يسْتدرِكُ عليْه كما استدرك رسول الله -ﷺ - أيْضًا ، وقد كان الصحابةُ والتابعون بمجرد أن يروي الصحابيُ روايةً يظهرُ فيها الخطأ يُسارِعون إما بالاستدراك عليْه وتصحيحِه والتثبُت من ذلِك بالشهود ، وإن كان يمنعهم التحرُج فإنهم يتوجهون إلى صحابيٍ آخر يتكفّلُ بالردِ والاستدراك، ورد بعضهم على بعض من أدلة كمال العدالة عندهم.

وبناء على ما سبق لا يُقسّم الصحابةُ إلى ضابطٍ وغير ضابطٍ كباقي الرواة ، لأن برهانَ ثبوتِ الضبط لكل صحابي هو أن رسول الله ﷺ كان يقبل أخبار الصحابة ، ولا يرد منها إلا ما عَلِم ﷺ أن ذلك المُخبِر واهم فيه ، وأيضا كان النبي ﷺ يرسل آحاد الصحابة يبلغون عنه الناس أشياء سمعوها منه ﷺ؛ وعلى ذلك جرى الصحابة والتابعون ، فإنهم كانوا يقبلون خبر الصحابي دون أن يقسموا الصحابة إلى أصحاب ضبط ، وغير ضابطين ، أو نحو ذلك ، إلا إذا قامت عند السامع قرينة على احتمال أن ذلك المخبر واهم في خبره ، فإنهُ يسْتدرِكُ عليْه، وعلى هذا استمر عمل علماء الإسلام إلى يومنا هذا، فلا يوجَدُ عالمٌ من علماء الأمةِ ضعَّف أحداً من الصحابة - الذين هم عنده صحابة - لا من جهة عدالة ، ولا من جهة ضبط؛ والأُمة قد عملت بمقتضى توثيق جميع الصحابة وبَنَتْ دينَها على ذلك.

شبهة والرد عليها:

يدعي بعض الطاعنين أن صحابة رسول الله - ﷺ - كانوا يكتبون الحديث خلف النبي - ﷺ - على عجل، ودون تثبت مما يقول، وهذا يعني أن في السنة جانبا كبيرا من الأحاديث غير موثوق بها. ويستدلون على ذلك بأن هناك من الصحابة من أنكر أحاديث صحابة آخرين وردها، وأن بعضهم كانوا ينهون عن تحديث الناس بأحاديث ينكرونها. ويهدفون من وراء ذلك إلى التشكيك في صحة ما انتهى إلينا من سنة النبي ﷺ.

وهذه الشبهة يمكن إبطالها من وجوه سبقت الإشارة إليها في ثنايا البحث:

١- توافرت عوامل كثيرة لحفظ السنة النبوية، والتثبت في نقلها، وكتابتها من حيث شخصية النبي ﷺ وطريقة تعليمه لأصحابه، ومادة السنة نفسها، والمتلقين لها.

٢- ما ورد عن تثبت الصحابة ورد أحاديث بعضهم بعضا، إنما كان لزيادة الاستيثاق والحيطة والتثبت، وكان ذلك في حالات قليلة، ولو كانت تدل على وجود خلط أو اضطراب في السنة - نتيجة التعجل - لوجدنا الشاهد يرد حديث الغائب، لكن الحقيقة أنه كان يؤيده ويثبته.

٣-لم يكن امتناع الصحابة عن التحديث ببعض الأحاديث بسبب إنكارهم لها - كما زعموا - بل كان من باب مخاطبة الناس على قدر عقولهم، فعدم إدراكهم لدلالات بعض الأحاديث قد يؤدي إلى تكذيبهم لها، ومن ثم تكذيبهم لله ورسوله ﷺ.

٤-كان الصحابة يكتبون الحديث بعد حضور المجلس، وهذا أدعى بأن يكون بغير عجلة؛ لأنهم كانوا يتذاكرونه فيما بينهم ويكتبونه كما ورد عن النبي ﷺ.

٥- إن عدالة الصحابة معلومة بتعديل الله ورسوله ﷺ لهم، كما أنهم علموا عقوبة الكذب على رسول الله، وكل هذا ينفي أن يكونوا قد كتبوا الحديث على عجل دون التثبت من ألفاظه.

٦- إن تثبت الصحابة وطلبهم - في بعض الأحيان - شاهدا يشهد بسماعه حديثا رواه آخر عن النبي ﷺ لا يعني تكذيب الراوي الأول، أو أن الكلام لم يرو بلفظه، وإنما هو زيادة استيثاق، وزيادة في الحيطة والتثبت، ودليل ذلك أنه لم يرد أن أحدهم خطأ الراوي الأول مما يدل على أنه رواه كما هو.

٧-كان النبي ﷺ المبلغ عن ربه يرسل الأفراد من أصحابه إلى الأمصار لتعليمهم القرآن والسنة، ولم يكن النبي ﷺ ليبعثهم دون أن يتأكد من قدرتهم على تحمل هذه التبعة، وأنهم قادرون على تبليغ القرآن وسنة النبي ﷺ كما هي دون خلط أو اضطراب أو تخليط، ولقد قاموا بهذه المهمة على أكمل وجه، وصدقهم الناس فيما قالوا.

٨- إن امتناع الصحابة عن تحديث العامة بما لا يفهمونه كان الغرض منه ألا يكذب الله ورسوله ﷺ، وحتى لا يقع الخلط والشك في

---

٨٠) أخرجه البخاري (أبواب العمرة بَابٌ: كَمْ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟٢/٣رقم ١٧٧٥,١٧٧٦)

٨١)أخرجه البخاري (كتاب جزاء الصيد: باب تزويج المحرم ٥١/٤ رقم ١٨٣٧) دون توهيم سعيد، وروى التوهيم أبو داود ١٨٤٥، ومن طريقه البيهقي ٢١٢/٧ورواه خيثمة بن سليمان (١٩٦)والأصبهاني في الطيوريات (١٢٠٤/٣) وقال الألباني : صحيح مقطوع.

الدين، ولا تقع الفتن والقلاقل، وليس سبب ذلك أن الحديث كتب على عجل كما يزعم المبطلون.

الخاتمة

ففي ختام هذه الأسطر أسطر ثمرات ونتائج يفيد منها الباحث عن الحق ، المحب لأصحاب النبي ﷺ ، وتردع كل مغرض وتلجمه فلا يستطيع الكلام ومن هذه الثمرات :

- أن أصحاب النبي ﷺ كما أنهم عدول فهم ضابطون أيضا بل في أعلى درجات الضبط .

ـأن ثمة عوامل ساعدت على ارتقاء صفة الضبط فيهم واكتمالها ، ولم تكن هذه العوامل لغيرهم .

-اقوى هذه العوامل أساليب النبي ﷺ التربوية في التعليم ومنها استنصات الناس ، وضرب الأمثلة ،وطرح الاسئلة ، وغير ذلك

-أن الصحابة رضي الله عنهم سلكوا السبل التربوية في سماع وفهم وضبط كل مايصدر عن النبي ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات وغير ذلك.

-أن الصحابة رضي الله عنهم من أمة عربية تتميز بالحافظة القوية والاستيعاب ،إذ كان أحدهم يسمع المعلقة من الشعر فيحفظها لأول وهلة وأخبارهم في ذلك متوافرة مذكورة في بطون الكتب.

ـأن الصحابة رضي الله عنهم بشر لم ينسلخوا من صفتهم البشرية وقد يهم بعضهم أو ينسى غير أنه لا يقر على ذلك بل يستدرك عليه ويبين له ويقبل ذلك .

وصلى وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ، تحقيق كمال الحوت دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧ه

البحر الزخار مسند البزار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) تحقيق مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية

التعاريف المسمى التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي الناشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق الطبعة الأولى ، ١٤١٠ تحقيق : د. مُحَمَّد رضوان الداية

توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر بن صالح بن أحمد بن موهب، السمعوني الجزائري، ثم الدمشقيّ (المتوفى: ١٣٣٨هـ ،تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ،نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب ،الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن مُحَمَّد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ) تحقيق أبو عبد الرحمن صلاح بن مُحَمَّد بن عويضة نشر دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ه

جامع بيان العلم لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: أبي الأشبال الزهيري

الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)تحقيق وشرح: عبد السلام مُحَمَّد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ،الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

السلسلة الصحيحة ، للألباني الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ،المكتب الإسلامي .

سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي الناشر : دار الفكر- بيروت .

سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، نشر دار الفكر ،تحقيق : مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد .

سنن الترمذي المسمى بالجامع الصحيح، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ،تحقيق أحمد شاكر .

سنن الكبرى سنن البيهقي الكبرى ،لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ،نشر مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤ – ١٩٩٤،تحقيق : مُحَمَّد عبد القادر عطا .

شرح السنةلأبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود بن مُحَمَّد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)تحقيق: شعيب الأرنؤوط-مُحَمَّد زهير الشاويش نشر المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ،نشر دار ابن كثير ، بيروت ،الطبعة الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا.

صحيح سنن أبي داوود مُحَمَّد ناصر الدين الألباني

الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م
صحيح مسلم تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت .
ضعيف سنن أبي داودمُحَمَّد ناصر الدين الألباني
دار النشر : مؤسسة غراس للنشر و التوزيع - الكويت الطبعة : الأولى - ١٤٢٣ هـ
-الطيوريات انتخاب: صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد ابن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني (المتوفى: ٥٧٦هـ)من أصول: أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي الطيوري (المتوفى: ٥٠٠هـ)دراسة وتحقيق: دسمان يحيى معالي، عباس صخر الحسن الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة : ابن باز.
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تأليف مُحَمَّد بن علي الشوكاني ، نشر دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ .
قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن مُحَمَّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى : ٧٢٨هـ)تحقيق ربيع بن هادي عمير المدخلي الناشر: مكتبة الفرقان - عجمان الطبعة: الأولى (لمكتبة الفرقان) ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١
كتاب المجروحين للإمام مُحَمَّد بن حبان البستي ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـتحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة: الثانية .
مجموع الفتاوى لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم ،الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
المستدرك على الصحيحين ، مُحَمَّد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ،نشر دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤١١ - ١٩٩٠،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا .
مسند أحمد بن حنبل أبو عبدا لله الشيباني، نشر مؤسسة قرطبة – القاهرة .
المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن مُحَمَّد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت
معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود لأبي سليمان حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)الناشر: المطبعة العلمية – حلب الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .
المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ،الناشر : مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ،الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ - ١٩٨٣تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
من حديث خيثمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي لأبي الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة بن سليمان القرشي الشامي الأطرابلسي (المتوفى: ٣٤٣هـ)تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمريالناشر: دار الكتاب العربي لبنان عام النشر: ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
الموضح في وجوه القراءات وعللها للإمام نصر بن علي الشيرازي المعروف بابن أبي مريم ، تحقيق د. عمر الكبيسي ، النشر الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .
المنهج الحديث في علوم الحديث للشيخ مُحَمَّد مُحَمَّد السماحي،نشر جامعة الأزهر ،كلية أصول الدين والدعوة ، ١٩٦٢م
النشرفي القراءات العشر
النكت على مقدمة ابن الصلاح لأبي عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: د. زين العابدين بن مُحَمَّد بلا فريج الناشر: أضواء السلف - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

.

Factors used by Sahaabah- Prophet companions- (May Allah be pleased with them) to set the Prophetic tradition (Sunnah) of Muhammad (Peace be upon him)

Abstract

The research aims to cite factors that influenced the setting of the prophet's companions (May Allah be pleased with them) in conveying the tradition of the Prophet peace be upon him. Also, it aims at showing that those suspicions biased in this section are false and worthless. The research consists of an introduction and four subjects. The introduction discuses the settings and its rooting from the Quran and Sunnah. The first section talks about his educational and integrated guidance (peace be upon him) about how to report his tradition (Sunnah) in terms of the description of speech, giving the examples, asking questions, and other methods of the Prophet (Peace be upon him). The second section is devoted to talk about the tradition of the Sahaba (May Allah be pleased with them) of how to receive and absorb the Sunnah, and that was represented in listening and good hearing, not interrupting, reviewing with him (peace be upon him) if there were a need of revision or there was a confusion of understanding, memorization of the Prophet's talk and so on. The third section talks about the external factors that influenced the setting of the companions, such as the correlation between justice and setting, the consensus of the Ummah to receive their talk with acceptance, the Prophet's (peace be upon him) prompting his companions of the conservation and reporting and so on. In the latter section, the statement and clarifying the issue of human companions is discussed. Besides, the idea that it is possible to be that there were some kind of illusion might happen from some of them, like any other human being, and that if it had reported from some of them, the rest of the Sahaaba would rectify them and showed the illusion that happed from them. Finally, the research is concluded by mentioning some the fruits and results that are indispensable for any seeker of knowledge, who want the truth in this the matter. Allah reconciled.

Key words: Companions- setting –Sunnah- illusion- Hadith- narration.